

نفحات القرآن

[124] خطأ الحواس، فعندما نقول: إن بصرنا أخطأ اتجاه الأشجار التي نراها متقاطعة من بعيد، فإن معيارنا في التخطئة هذه هو العقل. صحيح أن تمييزنا لهذا الخطأ يستند إلى الحس أيضاً حيث إننا ندرك خطأ بصرنا من بعيد لأننا طوينا الشارع من أوله إلى آخره عدة مرات وشاهدنا الأشجار في طول الشارع متوازية ولم تلتقَ في مكان، لكن هذا الاستدلال الذي يستند إلى الحس يقوى عندما يكون اجتماع النقيضين محالاً، ويقول بامتناع أن تكون الأشجار متوازية ثم تلتقي في نقطة واحدة، فاستدلنا بهذا الشكل يثبت لنا خطأ ما نشاهده من بعيد في الحقيقة أن قضية امتناع اجتماع النقيضين التي تدرك بالعقل تشكل حجر الأساس لجميع الاستدلالات، وعليه فلا يؤخذ بالدليل الحسي دون الاستناد عليها. 3 - فضلاً عما سبق، فإن ما ندركه بالحس هو ظاهر الأشياء، وما نرى من الجسم بالحس إلا سطحه لا شيء آخر. وعليه فما لم تتدخل الإدراكات العقلية لا نستطيع معرفة حقيقة الجسم. قد يقال: صحيح أن الحواس لا فاعلية لها لوحدها بل يجب الاستعانة بالإدراكات العقلية حتى في العلوم التجريبية، لكن ينبغي الإذعان إلى هذه الحقيقة - وهي أن جميع الإدراكات العقلية حصلت بواسطة حواس وكما يقول "جان لوك" الفيلسوف الانجليزي المعروف: "لا شيء في العقل لم يوجد قبله في الحس". إن هذه الجملة التي أصبحت مثلاً وبقيت ذكرى منه تدل على أن الذهن كان كاللوحه البيضاء في البداية وقد ينقش عليها بعد الك بواسطة الحواس، وأن لا وظيفة للعقل غير "التجريد" و "التعميم" أو "التحليل" و "التركيب" لمدركات